

الفضاء العام والمجتمع المدني

Public space and civil society

أ.د عبد القادر مالفى^{1*}¹ جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، abdelkader.malfi@univ-mosta.dz

تاريخ النشر: 2021/12/12

تاريخ القبول: 2021/11/13

تاريخ الاستلام: 2021/11/12

ملخص:

شكل الفضاء العام هاجس فكري على المستوى الاجتماعي من حيث هو نسيج مشكل من مجموعة من الأفراد يحملون صفة المواطنة التي تعطيهم الحق المشاركة في الحياة السياسية من طرح القضايا التي تخص عالمهم المعيش في منابر خصصت لذلك، و يكون ذلك على شاكلة الأغورا اليونانية و الفوريم الروماني اللذان كانا مهد المواطنة و الممارسة السياسية. و منه تشكل مفهوم المجتمع المدني كتشكيكة موازية للسلطة الحاكمة، و هو التصور الذي طرحها هيجل في موسعته الفلسفية.

فمنشأ الفضاء العام تزامن مع منشأ المجتمع المدني اللذان نطورا عبر التاريخ السياسي في المجتمعات الأوروبية ليصل إلى الشكل الذي وصل إليه مع تطور الممارسات السياسية و تعدد أدواتها خاصة ما اصطلح عليه بالديمقراطية التشاركية.

و ستعالج هذه الورقة البحثية صيرورة المجتمع المدني و علاقته بالفضاء العام بالعودة إلى مرجعيات فلسفية و اجتماعية و على رأسها هبرماس الذي أعاد مراجعة مفهوم الفضاء العام لدى كانط و علاقته بكل من المجتمع المدني و الرأي العام.

كلمات مفتاحية: الدولة، الفضاء العام، الخدمة العمومية، المواطن، المجتمع المدني.

Abstract:

The public space has formed an intellectual fascination at the social level by creating a fabric designed by a group of individuals authorized in terms of citizenship. This granted them right to access political life and raise issues that affect the living world via designated forums, similarly to ancient Greek agora and the Roman forum for they represented the cradle of citizenship and political practice. Hence, the concept of civil society is jointly associated with

* المؤلف المرسل: أ.د عبد القادر مالفى

the formation to the ruling authority, as advocated by Hegel as a concept in his philosophical encyclopedia. The public planetary emerged with civil society; they developed simultaneously throughout political history in European societies until it matured with political practices that include multiple tools, namely termed as participatory democracy. The present research reports civil society evolution and its relationship with public space in connection with philosophical and social orientations as did Habermas, who re-examined Kant's public space concept concerning civil society and public view.

Keywords: State; Public space; public service ; Citizen; Civil society.

1. مقدمة:

يقول ماركيز: المجتمع المدني لا يظهر إلا لكي يختفي توا في مشهد من الإفراط

و البؤس و الفساد المادي و الاجتماعي " العقل و الثورة" ص : 206

أشار هيجل في كتاباته السياسية و في تحديد مفهوم الدولة و علاقتها بالمجتمع المدني أنه لا يمكن له ان يكون غاية في ذاته، لأن متناقضاته الكامنة تحول بينه و بين تحقيق وحدة و حرية حقيقية، و لأجل ذلك جعل هيجل المجتمع المدني خاضعا للدولة التي تمتع بالاستقلال الذاتي (أصول فلسفة الحق)، و القصد بالاستقلال الذاتي هو تجسد العقل في الدولة، أين يكون العقل متمثلا في القانون الذي يمثل له المجتمع المدني ضامنا لذاته حركته و صيانة مصالحه، فاذا ما حدث و تم تجاوز المجتمع المدني تنزلق الدولة إلى التسلط و يختفي المجتمع المدني في مشهد من البؤس. و هذا ما يؤكد ضرورة وجود المجتمع المدني كقابل للدولة من أجل سيادة الحق و التجلي التجلي النهائي للعقل، و منه تستلهم الفلسفة الألمانية مبدا التعالي و تجسد العقل ، و بالتالي دولة الحق أين كل المواطنين يمثلون للقانون. و لعل أهم ما جاء عند كل من هيجل و كانط و ماكس فيبر هو تجسد دولة القانون في العقل.

و لأجل ذلك شكل المجتمع المدني حجر الأساس في تشكيله للفضاء العام عند هيرماس، مستلهما الفكرة من الفلسفات التي سبقتها و على رأسها فلسفة كانط و هيجل،

ناهيك عن الفلسفة الاجتماعية لماكس فيبر، تطور مفهومه عند هابرماس بحيث جعله أهم عنصر يتشكل منه الفضاء العام، من باب أنه عبارة عن تشكيلة من المواطنين الذين يشاركون في النقاش داخل مجال عام، و هي تقليد يوناني عندما كان ينزل الرجل الحر إلى الساحة العمومية (agora) لمناقشة القضايا تخص عالمه المعيش خاصة ما تعلق بأمور الحرب و السلم و الجباية، و تطور المفهوم إلى أن ارتبط بالمرفق العام الذي تضمنه الدولة ضمن المرافق العمومية الموجهة لتحقيق المصلحة العامة، و هي ضمن المهام التي تتجسد في دولة القانون ، و التي هي فصل عبارة عن إدارة عامة تدير المصالح العامة للمواطنين، و هذا ما هو معرف في القانون الإداري بأشباع الحاجيات الضرورية للمواطن. من هنا ارتبط مفهوم المرفق العام بالخدمة العمومية و الصالح العام. فمن الضامن للمصلحة العامة؟ و ما هو دور المجتمع المدني في ذلك ؟ و مما يتألف المجتمع المدني؟

معالجة الإشكال بشكل بؤرة النقاش حول علاقة الدولة بالمجتمع المدني من خلال الفضاء العام الذي شكل فلسفة القانون عند هبرماس.

في البداية وجب التعرض لمفهوم الفضاء العام:

يعرف هبرماس الفضاء العمومي بالاستعمال العمومي للعقل ، و هو التعريف المأخوذ من ما هي الانوار لكانت، وذلك عن طريق الإعلان أي الانتقال من النبيل إلى البورجوازي النشط، فالإعلان مثل ما يبينه هبرماس مرتبط بالقراء الذين يقرؤون النصوص الأدبية التي تأخذ كصيغة تعبيرية لتمثيل النبلاء و تشكل الطبقة الجديدة المكونة من الأدباء الذين يتقربون من البلاط الملكي (النبلاء) (Habermas,1990,36). و هم كذلك القراء الذين يطلعون على الأحكام الصادرة عن مجلس الحكم و المعلقة على الجدران بالساحة العمومية للمدينة، قراءتهم للأحكام و مناقشتهم لها بالساحة العمومية شكل ما اتفق عليه رجال القانون بالعموم أو الجمهور وفق ما اصطلح عليه ضمن سوسيولوجيا الجمهور و الرأي العام، و منه أتى مفهوم إعلان (Publicité) الذي يختلف عن ما هو معروف عند الفرنسيين بالترويج (Réclame). فالأول أخذ الصيغة القانونية و السياسية، و هو كذلك مصطلح متعدد إجرائيا، و اما الثاني تجاري استهلاكي يحكمه قانون السوق. ، فالمجال العام (Sphère publique) عند مترجمي هبرماس يختلف عن المجال الخاص (Sphère privée) الذي جاء نتيجة احتكاك النبلاء بالأدب مع تخصيص غرفهم للاستقبال و التعبير عن ذواتهم و تشخيصها في

أدوار مسرحية، وهذا الانزلاق من شأنه أن يشكل مجالا عاما يرتبط بالمسرح كأحد تجليات الفضاء العام من حيث هو مرفق عام يقوم بإشباع حاجة ثقافية للمواطن. ذات الانزلاق أدى إلى تشكل طبقة جديدة عرفت بالبورجوازية النشطة و هي الطبقة الجديدة التي شكلت الفضاء العام وفق التفسير الهيرماسي .

و يتكون الفضاء العام عندما هيرماس من سبع عناصر شكلت ركائزه الأساسية و يمكن التعرض لها على أساس نماذج مثال بالإعتماد على الوحدة المعرفية التي طرحها ماكس فيبر عندما استخدم المنهج التاريخي المقارن (Max Weber,1971.28-29) في دراسة لتطور المدن (Max weber,2014,62) ، حيث بين بأن المدن تشكلت على خاصية واحدة و هي التجارة، و بالتالي أصبح العامل التجاري نموذج مثال الذي يحدد طبيعة تشكل المدينة، و أن كل مدينة قامت على أساس الحركة التجارية ، و هو يختلف بذلك عن ابن خلدون الذي تتشكل المدينة عنده على العصب و صل الدم، و كذلك بالنسبة لجورج زيمل، و على حسبه المدينة تتأس على الثقافة و مقومها اللغة. فالنموذج المثال إذن قد يختلف من عالم إلى آخر ، فهو إما المال أو العصب أو اللغة . غير أن هيرماس لم يتوقف على نموذج مثال واحد في تشكيل الفضاء العام. فهو عنده متعدد و هو كالاتي:

1- نموذج مثال ارتبط بالمواطن :- المواطن (العنصر الرئيسي في تكوين المجتمع المدني):

المواطن عند أرسطو:

الوحيد الذي يستطيع أن يكون مواطنا بالنسبة لأرسطو هو الذي يبيّن بأنّه قادر على الاستلهاً المعقول للفضيلة » (Labrousse,1959,73). و لا يتم اكتشاف هذه القدرة إلا أثناء تربيته، إذ نجد أرسطو يخصص في الباب الثامن من كتابه السياسة للتربية ، و على أن تكون هذه الأخيرة هي المكون الأساسي للمواطن الصالح داخل المدينة المثالية . لأن في تكوين الفرد هو تكوين الكلّ ، فهو يقول في هذا الشأن « بأنّه في حين نفسه يفرض على كلّ فرد من المواطنين ألا يحسب نفسه قائما بذاته، بل أن يحسب أن الجميع للدولة، و أنّ كلّ فرد عضو من أعضاء الدولة، و العناية بكل عضو ترمي بالعناية بالجسم كله (أرسطو1980، 25-30).

المواطن عند هوبز:

نجده في كتابه المواطن يوضح العلاقة الموجود ما بين القانون الطبيعي (Lex Naturalis)، و الحق الطبيعي (Just Naturalis)، فالقانون الطبيعي بالنسبة لهوبز مبني على أساس طبيعي ، و ليس على أساس إلهي، فالإنسان أصبح قادرا على أن يحكم نفسه بنفسه، دون الاستعانة بأحد . ومن القانون الطبيعي ينتقل إلى الحق الطبيعي المرتبط بالحالة الطبيعية للإنسان، و فيه يوضح كيفية الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة السياسية و من خلالها يصبح الإنسان هو السيّد و المالك للطبيعية (Habermas,1990,26) و من ذات التصور يبيّن هوبز تصوره للمواطن على انه هو الذي يشارك في بناء المدينة و يتم ذلك من خلال دفع الضرائب، فكونه يساهم في بناء المدينة عن طريق دفع الضرائب، فهذا يعطيه الحق في المشاركة السياسية عن طريق العقد الاجتماعي.

2- نموذج مثال ارتبط بالجمهور (المواطنون أو القراء (قراء الصحف)) :

يتبين من خلال نص هبرماس أن العموم (Public) تكون بإنجلترا في أواسط القرن السابع عشر للدلالة على العالم، و نفس التصور انتقل إلى فرنسا بقاموس الإخوة جريم (frères Grimm)، أين كان يشار إلى القراء القصص، أو الحضور الذين يستمعون إلى العروض بالأماكن العمومية، و بكلتا الحالتين العامة مجموعة موجهة من قبل الحاكم، أو نحو حكم يظهر للعموم عن طريق الإعلان، تلك هي الصياغة التي بنى حولها هبرماس تصوره للإعلان (Habermas,1990,37). فالإعلان مثلما يذهب إلى تعريفه كانط يقوم على وحدتين، وحدة الوعي التجريبي، و وحدة الوعي الخالص، و هما الوحدتان اللتان تكونان الرأي العام، و منه يبين هبرماس أن الإعلان يقوم على توعية العامة بجعل النقاش عاما. و على إثره يتشكل الرأي العام، فهناك صلة بين النقاش العام والإعلان و تكوين الرأي العام.

3- نموذج مثال ارتبط بالرأي العام :

أول تعريف وضع للرأي العام كان من قبل (Edmund Burke) و الذي اعتمد بموسوعة Oxford عام 1871، و يشير على أن الرأي العام ما هو إلا نقاش عام للمصالح العامة أو روح العامة، و اما روسو فقد ربطه بالإرادة العامة (Habermas,1990,106). فالرأي العام في الأصل يتكون من كلمتين الرأي و هو من الأصل اللاتيني Opinar و تعني إبداء الرأي و هو الموقف الذي يتشكل على إثر نقاش سياسي حول قضايا تخص العموم، مثل هذا النقاش كان يخص فئة

من المجتمع وهم العموم و منه أتت كلمة العامة (Publique). فالدراسات التي أقيمت من قبل علماء الاجتماع السياسي و الفلاسفة ، و كانت البداية من أفلاطون الذي اعتبر أن الرأي العام موقف البسطاء الذي لا يشاركون في تسيير دولتهم. و بينما هوبز و باعتباره مؤسس العلوم السياسية يربط الرأي العام بالوعي الأخلاقي نظراً لتأثره بالحروب الدينية أين يعطي مرتبة للأمير لحل النزاع ما بين المتخاصمين، و هو الإنسان الذي يكون الأكثر تمييزاً عن الآخرين و هو الذي يكون قاضياً و حاكماً (Hobbes,1983,93). غير أن روسو يربط الرأي العام بالإرادة العامة، و هذا ما نقرأه بكتابه (Discours sur les sciences et les Arts) أين يبقى على مفهوم الرأي و يحدد تصوره العام على أنه أساس النقد و الإيمان ومنه تتأسس الديمقراطية.

4- نموذج مثال ارتبط بالإعلام وحرية التعبير (الصحافة):

أ- البداية كانت الماجنا كارتا أو الميثاق الأعظم: صدرت الوثيقة و لأول مرة بإنجلترا عام 1215م. و يحتوي ميثاق عام 1215م على أمور عدة منها مطالبة الملك بأن يمنح حريات معينة وأن يقبل بأن حريته لن تكون مطلقة، وأن يوافق علناً على عدم معاقبة أي "رجل حر" إلا بموجب قانون الدولة وهذا الحق ما زال قائماً حتى اليوم بالمملكة البريطانية.

ب- مروراً بالصحافة: و التي اعتبرها هبرماس أداة تعبير عن حرية الرأي (Habermas,1990,254)، فمن خلال المقالات المنشورة عن الحريات الأساسية و الحق في إبداء الرأي . و بدأت تأخذ مثل هذا المنحى مع الثورة الفرنسية و الإعلان عن حقوق الإنسان والمواطنة . مثل هذا الإعلان الذي أخذ منحا تاريخياً ساهم في وضع الصياغة العامة التي كانت منبع القانون المدني الفرنسي (Fauré,1988,18)، و الذي كان كذلك مصدر قانون الإعلام خاصة المادة الحادية عشر و ما جاء فيها من رفع القلق عن الرأي شريطة أن لا يحدث فوضى على مستوى النظام العام (Fauré,1988,13). مثل هذه الأفكار التي جاءت تؤطر العمل الصحفي و تحرره من الرقابة التي كان خاضعاً لها بالرغم من التطور التقني الذي ساهم في تزايد عدد السحب و انخفاض سعر الصحيفة مما أثر على الجمهور المهتم بالصحافة كما و نوعاً، و بهذا التزايد تداخلت فيه عدة عوامل منها ما هو سياسي و منها ما هو تقني و تجاري. فمن خلال المنهج التاريخي المقارن المستخدم من قبل هبرماس، و المبني

على النموذج-المثال يتبين أنه تعرض للصحافة المكتوبة و أثرها في تكوين الرأي العام، و كذا الضغوطات التي تتعرض لها بفعل الرقابة، مما جعلته يقوم بالمقارنة بين الدول الأوروبية التي تزامنت فيها نشأة الصحافة و نضالها من أجل حرية التعبير خاصة فرنسا و إنجلترا و ألمانيا .

إن انتشار الصحافة في الدول الأوروبية خلال القرن السابع عشر بشكل عام و بالخصوص بإنجلترا جعلها تخضع لعملية الرقابة مما دفع جون ميلتن يكتب عام 1644 شعرا والمعنون بـ *Areopagitica* يدافع فيه عن حرية الصحافة التي أصبحت خاضعة للرقابة في عهد الملك شارل الأول قبل اندلاع الحرب الأهلية التي أدت إلى إعدامه. و مضمون هذا الشعر أُستلهم من قبل ميرابو عند صياغته للمادة الحادية عشر للإعلان عن حقوق الإنسان والمواطنة لـ 1789 (كايرول، 32، 1984)، و الأمر ذاته عايشته الصحافة الألمانية في عهد فريدريك الثاني و جوزيف الثاني عندما سخرها للدعاية، و فرضت الرقابة بوضع ضريبة الطبع عام 1789. و الأمر ذاته لم يختلف عن ما هو موجود بفرنسا فالصحافة خضعت للرقابة منذ نشأتها خاصة في النظام الملكي مع لويس الثالث عشر، إذ كان يشرف بنفسه على المقالات التي كانت تصدر في الصحف، ونخص بالذكر جريدة *Le figaro* .

فما يشار من قبل مؤرخو وسائل الإعلام أن الصحافة الفرنسية كانت امتثالية، مما جعلها محل انتقاد الفلاسفة (روسو، فولتير، مونتسكيو) إذ اعتبروها كتب دورية تقرأ من قبل النساء و السفهاء. و العامل الذي ساعد على تحرر الصحافة من قيود الرقابة كانت الثورة الفرنسية الذي صدر على إثرها الإعلان عن حقوق الإنسان و المواطنة، إذ جاء في نص المادة الحادية عشر منه أن « حرية تبادل الأفكار والآراء من أغلي حقوق الإنسان : كل مواطن يمكنه التعبير و الكتابة و الطباعة و النشر دون تجاوز الحرية التي نص عليها القانون»، و قبل هذا الإعلان و المشاركة في صياغته تبني ميرابو جريدة ملتن (*Areopagitica de Milton*) ، و جعلها بداية التحرر من قيود الرقابة وكتب فيها مناديا بحرية التعبير و الرأي (كايرول، 38، 1984). غير أن مثل هذه الحرية لم تدوم كأن الصحافة قدر عليها أن لا تعيش بدون رقابة، فكيف لها أن تكون بدونها ؟ فهي ما تلبث أن تتحرر حتى تسقط من جديد بقيودها، وسجلت على تاريخ الصحافة الفرنسية مراسيم تنظم الرقابة من رخص و مركزية النشر وحصرها في جريدة واحدة و هي الجريدة الوطنية.

ج- وصولاً إلى قانون إعلام (قانون 29 جويلية 1881) :

بعض ما جاء في قانون 29 جويلية 1881: تنظيم محتوى الصحافة

- حق التصحيح : يمنح لكل موظف في السلطة العمومية الحق في تصحيح الخطأ مجاناً، عندما تنشر صحيفة معلومات وردت بالخطأ عن مسؤول في السلطات العمومية، يكون تصحيح الخطأ الوارد في الصحيفة بالرد عليه و تصحيحه.

- حق الإجابة: يخص كل شخص معنوي أو طبيعي ورد اسمه في الجريدة في مضمون يسيئ سمعته، ان يجيب و يدافع عن سمعته.

- مبدأ الحرية: يتحقق المبدأ برفع كل قيد متمثل في الإجازة، غير أن الإدارة تضع شروطاً للنشر تذهب إلى لصالح العام و تلخص فيما يلي:

- الأخبار المسيئة للدفاع الوطني التي تخص سرية الجيش.

- المحافظة على السر القضائي بمنع نشر الجلسات القضائية خاصة في القضايا التي لم يفصل فيها القضاء.

- منع نشر الأخبار غير الصحيحة بسوء نية تهدف إلى تلوين الحياة العامة.

- الغاء جرائم ابداء الرأي و معاقبة مرتكبي الجح منها التحريض.

- تجريم انتهاك حرمة العادات و التقاليد و التشهير بها للرأي العام (كايرول، 1984، 163-169).

5- نموذج مثال ارتبط بأخلاق المناقشة : النقاش او الحوار قائم على أخلاقيات المناقشة ، و التي حدد أطرها هبرماس من أجل ضمان حرية الرأي و الاحترام المتبادل. و يتبين مما ذكره مترجمي نصوص هبرماس، و المهتمين ببرنامجه الفلسفي أن مسألة الأخلاق لم تطرح في نفس السياق المعتاد عليه، كالبحث عن الحياة السعيدة أو تحديد لمفهوم السعادة مثلما هي مطروحة في فلسفة الأخلاق، بل تقوم على البحث عن الإمكانية التواصلية و الوصول إلى ممارسة سياسية حقه، فمن جهة لا يتأتى ذلك إلا بتحقيق الممارسة الديمقراطية بالاعتماد على مبدأ الاعتراف أو الاندماج الذاتي مثل ما هو الحال عند آبل . و من جهة أخرى تتحقق العدالة مثل ما هو الحال بالنسبة لهبرماس. و الذي ينطبق حتى عند القضاء على الأنظمة التوتاليتارية . فمن هذا الباب يتبين أن هبرماس و على لسان أحد مترجمي نصوص كل من هبرماس و آبل أن مسألة أخلاق المناقشة تقوم على (Hunday in Monique Canto-

(Sperber, 2004,425)) فكرة أساسية شكلت حجر الزاوية بالنسبة لهيرماس، و هي كيف يكون فعلنا صحيحا (و عادلا و هو الهدف الأسى لهيرماس=Agir juste)، و الاعتماد على التبرير حتى يتحقق الادعاء بالصحة . فمثل هذه الفكرة لا تتحقق إلا داخل مجمع مثالي للتواصل أين مبدأ الصحة (Validité) الذي يأخذ صيغة (ص=D)، فالصحة مصدرها مجموع الأفعال المضبوطة بالقيم أين المعنيين قد شاركوا في مناقشة عقلانية (Hunday in Monique Canto-Sperber, 2004,429)). و يتحرك المشاركون للمناقشة عندما تمس مصالحهم، و تكون المحفز للمشاركة في المناقشة، و تصبح بذلك مصلحة مشتركة تربط المشاركين محددة بذلك أفعالهم الصحيحة و المضبوطة بالقيم . و منه ترتفع القيم إلى الشمولية آخذة بذلك الصيغة الرمزية (ش=U)، و نقول عنها أن كل قيمة مقبولة يجب أن تستوفي الشروط التالية : من حيث أسبابها و نتائجها تكون بالإجمال ملاحظة من قبل كل واحد، و يكون قصدها إرضاء مصلحة كل واحد، و تكون مقبولة من قبل كل فرد معني بها (Habermas,1986,86-87). يتمثل دور (ش=U) أن تقوم بمهمة اختبار و تصديق القيم دون إنتاجها، لأنها في الأصل قيم يُحتمل أن تقبل عن طريق اتفاق عقلائي كلى أين تسود المصلحة الشاملة (العامية)، و تكون بذلك العقلانية ضرورة ميزت فلسفة هيرماس. فالأفعال الانجازية و حدها التي تميز بين الأخلاق ذات مصلحة شمولية و الأخلاق ذات استلهاهم فردي التي تعتمد على قيم ذاتية، فما نقصد به أخلاق المناقشة هو التمييز الأول، ومنه ترسم التداولية المتعالية، أين لا يكون لأي فرد الحق في امتلاك الحقيقة و لا النقد، بل عملية مشتركة تكون نتيجتها الاتفاق لكل المعنيين ضمن مجمع مثالي للتواصل (Hunday in Monique Canto-Sperber, 2004,430)). و تشكل كذلك مربط الفرس لنظرية الفعل التواصلية من جهة، و أخلاق المناقشة من جهة أخرى.

6- نموذج مثال ارتبط بالمجتمع المدني :

عندما يقول هيجل استنادا لما نقله عنه ماركيز في كتابه العقل و الثورة " أن المجتمع المدني لا يمكن له أن يكون غاية في ذاته، لأن متناقضاته الكامنة تحول بينه و بين تحقيق وحدة و حرية حقيقية، و لذلك رفض هيجل استقلال المجتمع المدني و جعله خاضعا للدولة المتمتعة بالاستقلال الذاتي(ماركيوز، 1979، 206). و القصد الدولة ذات الاستقلال الذاتي هنا هي دولة القانون التي تقوم على استقلالية السلطات و الكل يمثل للقانون الذي تم

تشريعه في إطار النقاش العام داخل هيئة تشريعية. هيئة منتخبة وممثلة للشعب و بالتالي جاءت السلطة بفعل الممارسة الديمقراطية المؤطرة قانونا، فهبرماس يطور مفهوم المجتمع المدني الذي ارتبط عند كل من هيجل و ماركس بالبورجوازية، لأن في الأصل البورجوازي النشط هو الذي شكل الطبقة الجديدة المعارضة و قاد الثورة الفرنسية، ويصبح بذلك مرتبطا بالتشكيلات الإرادية الخارجة عن دواليب الاقتصاد و السلطة و الممثلة بالجمعيات السياسية و النقابات و الأحزاب و بالتالي يتكون المجتمع من هيئات سياسية و اجتماعية (Habermas,1990, XXXII)،

7- نموذج مثال ارتبط بدولة القانون:

أ- نظرية المناقشة وبناء النظام القانوني :

القانون في الأصل اعتراف بالحرية لكل إنسان لكونهم لديهم ذوات ذات إرادة قادرة على الاختيار، وهذا ما يجعلنا نضعه ضمن تصور خاص بالحقوق الذاتية ، وهي حقوق طبيعية تعمل القوانين على ضمانها كحق العيش وحق الملكية الذين تنمياهما غريزة حب البقاء و غريزة حب التملك ، فالحقوق الطبيعية حقوق ذاتية، فداخل القضاء توضع هذه الحقوق تحت حماية القانون ، والاستقلالية الذاتية خصوصا بالنسبة للحق في إبرام العقود في امتلاك العقار، و لهذا يعرف هبرماس و إستنادا ل "هانس كلسن" (Hans Kelsen) عامة الحق الذاتي كمنفعة تضمن من قبل الحق الموضوعي (Habermas,1997,101). و بالتالي يكون الحق الموضوعي موضوع تفاهم ناتج عن اتفاق جماعي للمحافظة على المصلحة الذاتية هذا ما يجعلنا نعود إلى طروحات كل من روسو في كتابه العقد الاجتماعي أين ربط بين الإرادة الجماعية والسيادة ، و كذلك إلى "هو بز" في كتابه المواطن الذي يرى بأن لتفادي التناحر الناتج عن النزاع بين الناس عندما يشتركون في نفس الرغبة وفي نفس الوقت فكان لابد من "الثالث" يفك النزاع ويوزع الرغبة بالتناوب. فالعقد الاجتماعي - بالنسبة لروسو - يمكن من سيادة مبدأ الحق عندما تكون الإرادة السياسية للمشرع ضمن شروط الإجراءات الديمقراطية وما يسمح بتكون في الأخير الحريات الفردية المتساوية ومبدأ السيادة الشعبية .

فالديمقراطية المتجسدة تمكن من وجود الإرادة السياسية وتشريع القوانين القائمة على مبدأ السيادة الشعبية .

ب-دولة القانون :

على ضوء ما سبق يمكن القول بأن دولة القانون مؤسسة قضائية يعلو على هرم سلطتها قاضي يسهر على تطبيق القانون . فالنظام القضائي لا يكون شرعي إلا إذا كان المواطنون أعضاء فاعلين في تطوير وترقية القوانين، و يكون هذا من خلال المداولات التي تقوم على مناقشة القوانين كقانون الأسرة مثلا، أي تنظيم جلسات نقاشية في كل جهات، وهذا ما يكون مواطنا فطنا قادرا على توجيه الرأي ومناقشة القوانين وتشريعها و يمكن القول مع هبرماس بأن القانون يشكل وسيط يضمن الاندماج الاجتماعي (Habermas, in le débat n°97,1997) حيث أن القانون الناتج عن المناقشة العامة داخل المجال السياسي، و من خلال الاتفاق الحاصل بين المشاركين في النقاش يتمكن القانون من تحقيق العدالة، فعندئذ نقول بأنه أصبح قاسم مشترك ما بين جميع المشاركين القضائيين وبالتالي يتحقق لهم الاندماج الاجتماعي . فالقانون من هذا المنظور يصبح منتجا اجتماعيا يسهر على تطبيقه القاضي . فالدولة تصبح ضرورية كسلطة تعاقب وتنظم وتنفذ و هذا من واجها، لأنه لا بد من احترام الحق وتطبيقه على حد السواء على كل المواطنين لأنهم شاركوا في تشريعه، فدولة القانون بهذا الأساس تقوم على ضمان الاستقلالية الفردية والمساواة القضائية بين المواطنين. فالمواطن الفرد حر باستقلاليته وشريك في السلطة بديمقراطيته .

خاتمة:

نخلص في النهاية أن الفضاء العام قد مرّ بثلاث مراحل :

1- مرحلة النشأة أين ارتبط بالإعلام مع تشكل الطبقة البورجوازية التي قادت الثورة الفرنسية بفعل تحكم النخبة الناشئة من الطبقة البورجوازية، و التي ساهمت في تكوين الرأي العام عن طريق نشرها للصحف المعارضة للنظام الملكي ، و بالتالي الطبقة الناشئة شكلت المجتمع المدني ضمن إطار الفضاء العام.

2- مرحلة التحول عندما ارتبط بالفعل التواصل في الأصل كل نماذج الأفعال تتطلب اللغة كوسيط ينقل المقترحات إلى مستوى فهم العالم الثالث (نسبة إلى العوالم الثلاث لبوبر) أو التفاهم على القيم الموجهة للفعل، أو التفاهم على السيناريو الموجه لأفعال الممثل الذي

يتفاعل مع المتلقي. فهذا الاتصال البيذاتي يقتضي صيغ لغوية تربط بين المرسل و المتلقي لإحداث التفاهم والتناسق بين الأفعال. إلا أن الأمر مختلف مع الفعل التواصلى فهو لا يستعمل اللغة كوسيط للتفاهم بل كوسيط لتأويل والتفاوض على مقترحات تخص العالم المعيش، متعرضين في ذلك للعالم الموضوعي والعالم الذاتى و العالم الاجتماعى حتى حدوث تفاهم توجهه المنفعة المشتركة (Habermas,1997,111). و بالتالى ينتقل الفضاء العام من فعل الإعلام إلى فعل التواصل.

3- و هي مرحلة الانتقال إلى الحق الموضوعي، و هي المرحلة التي شكلت النهاية للفضاء العام بارتباطه بالحق في المناقشة مثلما هو الحق في المشاركة السياسية عند هوبز، فالانتقال من الحق في الإعلام الذي هو في الأصل حق طبيعي ، يتم الانتقال إلى الحق في الاتصال الذي يصبح بفعل التوصيات الهيئات الدولية حقا مضمونا دستوريا بكل الدول المنضوية تحت لواء هيئة الأمم المتحدة. و بالتالى في ظل المجتمع الإلكتروني يتحول افضاء العمومي إلى احق في الاتصال و المشاركة في إطار قانون تضمنه دولة القانون.

في النهاية تتحول العلاقة بين الفضاء العام بالمجتمع المدني من علاقة احتواء أي أن المجتمع المدني جزء من الفضاء العام إلى علاقة ترابط بحيث يصبح الفضاء العام محفزا للمجتمع المدني ، و يكون بمثابة وسيط بينه و بين دولة القانون، و أن يشغل الفضاء العام مرفقا عموميا مخصصا لذلك.

الهوامش :

باللغة العربية

- أرسطو: السياسة ، ترجمة الأب أوغسطس باربرة البولس، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ط2، 1980
- كايرول (رولان)، الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية، تر: مرشلي محمد ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984

- ماركيز (هبريت)، العقل و الثورة ترمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1979

باللغة الفرنسية:

- Habermas (Jürgen) , L'espace public , Avec une préface inédite de l'auteur, Traduction de Marc B de Launay , Critique de la politique , Payot Paris 1990

- Habermas(Jürgen) ,Morale et communication , Les éditions du Cerf ,Paris, 1986

- Habermas (Jürgen), Droit et Démocratie (Entre faits et normes), traduit par Rainer Rochlitz et Christian Bouchindhomme, Gallimard, Paris, 1997
- Weber (Max), Économie et société, tome 1: Les catégories de la sociologie, Paris, Plon / Agora, traduction de Julien Freund, 1971
- Weber (Max), La ville Paris, La Découverte, coll. « Politique et sociétés », 2014, 280 p., traduit de l'allemand et introduit par Aurélien Berlan ; Etude critique française établie par Aurélien Berlan ; postface d'Yves Sintomere,
- Labrousse (Roger), Introduction à la philosophie politique, traduit de l'espagnol par Elisabeth Labrousse, Librairie Marcel Rivière et Cie-1959
- Hobbes (Thomas) , Le Leviathan , Edition Sivey , 3°tirage 1983
- Fauré (Christine),Les déclarations des droits de l'homme de 1789,(Textes réunis et présentés par :),Payot, Paris , 1988

المعاجم والمجلات :

- Hunyadi (Mark), l'éthique de la discussion , in dictionnaire de l'éthique et de la philosophie morale , sous la direction de Monique Canto-Sperber , PUF ,2004
- Habermas (Jürgen) .Sur le droit et la démocratie .tr : Eric Vigne, le débat N° 97 nov-déc.1997